مناقشات

« الاصالة ابدا »

بقلم حلمي محمد القاعود

كنت اعتقد ان المقابلة التي نشرت في عدد مارس (اذار) من « الآداب » ، لن تثير انفعالا شديدا لدى احد ، كانفعال الاستاذ محمد دكروب . وكنت اعتقد ايضا انها مجرد عملية طرح لقضايا فكرية وادبية تمس واقعنا المادي والمعنوي الراهن وتحاول توصيفه وتقويمه بطريقة ما ، ومن خلال وجهة نظر معينة ، لم تحتكر لنفسها الوصاية على الغير ، او تمارس دور الاكليروس في التأثيم والتبرىء الخ ..!

بيد ان الاستاذ محمد دكروب آثر ان يسقط على هذه المقابلة ومن خلالها مبادىء وافكارا ورؤى ما كانت في الذهن ولا اردناها سلفا . ومن حق الاستاذ دكروب ان يرفض ما يشاء من الافكار ، ومن حقه كذلك ان يصوغ رؤاه وفق المعطيات المطروحة امامه والتي يختارها بمحض حريته ويبني عليها من القضايا والنتائج ما يريد ، لكن ليس من حقه ان يصنف الناس دون معطيات .

واود ان اشير هنا الى بعض النقاط آملا ان تجد صدرا رحبا وافقا واسعا لدى الاستاذ محمد دكروب الذي طالبني بما لا طاقة لي به في هذا الزمان ».

اولا : اعتقد ان الاستاذ الدكتور عبدالسلام العجيلي من الادباء العرب الذين يتخذون موقفا ينتمي بالاصالة ـ وسيأتي كلامي عنها ـ الى واقع امتهم العربية ، في وضوح كامل وبين ، والذي يرصد فكره من خلال فنه وابداعه سوف يجد صدق ما ذهبنا اليه وقد اوضحنا ذلك ذات يوم (راجع الاديب عدد ابريل ١٩٧١) . وما ذكره الدكتور العجيلي في حديثه انما يعبر عن تفكيره الخاص ازاء القضايا التي طرحتها عليه والتي اجاب عليها مشكورا بكل صدق واخلاص ويقين . ويجب علينا ـ في عصر البحث العلمي وحق الناس في الاختيار ـ ان نحتفظ له بمثل هذا الحق ، ونناقش افكاره ، وليس هوامشها او اللامرئيات التي لم ترد اساسا ولم يشر اليها احد .

ثانيا : ان طريقة التصنيف التي يلجأ اليها معظم الكتاب ـ في العالم العربي ـ طريقة غير علمية في رأيي وينبغي علينا ككتاب نعيش في وطن مهزوم ان لا نمارس هذه اللعبة ، لانها لعبة خاسرة ضيعت علينا عمرا كاملا من الزمان في الهتاف والتهريج والتصفيق فضلا عن التصنيف . وانت اذا سألت مهزوما كيف ينتصر ؟ فانه سوف يجيب بشيء اخر لا ينتمي الى توصيف كتابنا العرب ، وسوف يقول لك « الماو ماو » ان المقاومة المحسوسة والملموسة في ميدان القتال هي الاجابة الصحيحة لتحرير كينيا وغيرها من بلاد العالم وليس اليمين وليس اليسار . ولعل من المفارقات المضحكة ان تجد من يريد صنع الاشتراكية في فلسطين قبل ان يحرر شبرا واحدا منها ، وان تجد من يهتم بقضية الاممية والاتحاد السوفياتي اكثر من اهتمامه بمصير فلسطين وبرطعة يهود على ارضها !

ثالثا : ليست الاصالة وصمة عار كما يرى بعض الاخوة الكتاب الذين يدورون وفق تصميم فكري معين ، فرض عليهم سلفا ..ونحن لا نستحق هذا الوطن اذا لم نحمل مقوماته وصفاته وسماته وملامحه بين حنايانا . ونحن لا نكون عربا اذا لم نحمل بين ضلوعنا هوية العروبة وركائزها منذ تكوينها وبلورتها كظاهرة في التاريخ الانساني . وفي ظني ان الصينيين ليسوا على استعداد للتضحية بهويتهم الصينية من اجل الاممية .. بل انهم يحملون في اعماقهم ووجدانهم كل الملامح الحضارية التي هتف بها كونفشيوس وغناها صنجيات صن وحققها الزعيم ماو .

ليست الاصالة انغلاقا على الذات او عودة الى الوراء بالتحجر والجمود كما يسبق الى ذهن بعض الاخوة ـ سامحهم الله ـ وانما هي بناء شخصية قومية ترتكز على اسس واضحة ، لتستطيع بعدئذ القدرة على الحركة في كافة الاتجاهات والطرقات ، وتتبلور هذه الشخصية ـ اخيرا ـ بما يتفق وروح الزمان انسانيا وحضاريا. ونحن جميعا ـ ومعنا الاخ دكروب ـ لا يمكننا ان نتجاهل تفكير السيد داود بن جوريون او السيدة جولدا مائير تجاه بناء الوطن القومي لليهود في الوطن التاريخي للعبرانيين . ولعل ما يقال عن رفع التوراة بيد والسلاح بالاخرى اوضح من ان نورده في هذا المجال . واعتقد ان اسرائيل انطلاقا من هذا التفكير اليهودي تبني كيانها بأحدث اساليب القرن العشرين في التكنولوجيا المعاصرة ، ولم تمنعها التوراة وتعاليم التلمود من الحياة في قلب القرن العشرين !

ان خجلنا من ذاتنا وهويتنا هو احدى المصائب ـ بل اكبرها ـ وقد ابتلينا بها في هذا الزمان ! كما ان عدم انتمائنا الى شخصيتنا القومية ولهاثنا وراء الفكر المستورد ، واعتناق الغريب من الرؤى قد اوردنا الى تيه اليأس والبؤس والانحطاط ، والهزيمة التي نعايشها وتعايشنا ، ونطالعها وتطالعنا ، وتبحلق فينا كل لحظة تمر بنا او علينا ، لاننا بلا عقيدة وبلا هوية !

ينبغي علينا في هذا الزمان ان نبلور ذاتنا ونكشف عن هويتنا ونبني شخصية متكاملة المقدمات ، تملك من الرحابة والسماحة ما يؤهلها لان تلعب دورها الحضاري والانساني المنتظر . اما ان نهيم على وجوهنا في وديان الغير نلعق اسوأ ما فيها ، ونفقد خصائصنا ومميزاتنا ونعيش عالة ابدا ، ونفكر وفق « فورمة » يقدمها لنا هذا الغير ، فهذا هو التردي الرهيب الذي لا يمكن ان يقره احد ، ولا يملك الاستاذ محمد دكروب غير الموافقة على ما نقول :

هذه بدائه لم اكن اريد اثباتها ، ولكن طالما كانت المحنة القائمة تفرز بعض الافكار المكرورة والمحفوظة ، فانه لا بد من اعادتها لعل وعسى ان نصل معها وبها الى مراجعة ما نردده ونقوله ونصل ـ ايضا الى تفكير صحيح .

وليثق الاستاذ محمد دكروب انني لست على استعداد ان اقدم اطروحة عن الاصالة ، فهذا اوان الفعل وليس اوان الكلام ، وزمن الحركة الطليقة والنيرة ، وليس زمن البرطعة والتخبط . وقد كنت حقا اود ان اكتب مثل هذه الاطروحة،بيد انني وقد استغرقني الزمان تحت رداء العسكر منذ الهزيمة ، فان مثل هذا العمل يظل في يقيني حلما عذبا يطفو على سطح المخيلة حتى نتجاوز ـ بالفعل والحركة ـ اوان المسخرة !

في رواية « تولستوي » الخالدة تقول « انا كارنينا » :

ـ « يا استيفا .. اني ضائعة .. اني ضائعة .. واسوأ من ضائعة .. اني وتر مشدود يوشك ان ينقطع » .

ولا أحسب هذه العبارة الا اصدق تعبير وتحديد لملامح تفكيرنا الراهن وواقعنا .. فليغفر لي القارىء ، مع احترامي وتقديري للاستاذ « محمد دكروب » واخلاصه لافكاره .

القاهرة — حلمي محمد القاعود